المشعوذ

رواية

تأليف: آزال العباسي

المشعوذ

رواية

آزال العباسي

«أخطر المشعوذين ليسوا من يدّعون التحكّم بالجن،
بل أولئك الذين يتسلّلون إلى نقاط ضعف البشر.»

الفصل الأول

البيت الذي لا يعرفه أحد

• • •

لم تكن القرية كبيرة بما يكفي لتخفي سرًّا، ولا صغيرة بما يكفي ليعرف أهلها كل شيء. كانت بيوتها متقاربة، تتخللها أزقة ضيقة تتشعب بين المنازل القديمة. لكن، كان هناك بيت واحد ظل غامضًا بالنسبة إلى الجميع؛ بيت صغير يقع عند أطراف القرية، بعيدًا عن بقية المنازل، تحيط به أشجار يابسة وسور منخفض أكل الزمن أطرافه.

كان الناس يسمونه: بيت المشعوذ.

أما الرجل الذي يسكنه، فلم يكن أحد يعرف اسمه الحقيقي. ظهر في القرية قبل سنوات، واستقر في ذلك البيت بصحبة زوجته. لم يتحدث كثيرًا عن ماضيه، ولم يسأل أحد عن أصله، لأن الرجل منذ أيامه الأولى صنع حول نفسه هالة من الغموض والخوف.

كان يخبر الناس أنه يعرف أسرارًا لا يعرفها غيره، وأنه يستطيع التواصل مع الجن، بل كان يزعم أنه قادر على تغيير أقدار الناس إذا دفعوا له الثمن المناسب. لم يكن الجميع يصدقه، لكن الخوف وحده كان كافيًا ليجعل البعض يطرق بابه في منتصف الليل.

امرأة فقدت ذهبها، رجل شك في زوجته، فتاة أرادت أن تعرف من يحبها، وتاجر خسر ماله وأراد معرفة من حسده. وكان المشعوذ يجد لكل واحد منهم إجابة.

لم يكن يملك جنًّا... كان يملك شيئًا أكثر فتكًا: كان يعرف كيف يجعل الإنسان يصدّق الكذبة.

وكانت زوجته شريكته في كل شيء. كانت تستقبل الزائرين، وتستمع إلى مشكلاتهم، وتطرح عليهم أسئلة تبدو عادية، لكنها في الحقيقة كانت تجمع منهم كل التفاصيل التي يحتاج إليها زوجها، ثم تنقل إليه ما عرفته. وبعد دقائق، كان المشعوذ يظهر أمام ضحاياه وكأنه يعرف أشياء يستحيل أن يعرفها إنسان عادي.

كان سرّه بسيطًا، لكن الناس لم يكونوا يعرفون ذلك، وكان الجهل بالنسبة إليه تجارة لا تنضب.

الفصل الثاني

الخاتم

• • •

في الجهة الأخرى من القرية، كان سعد يعيش مع زوجته سماء وابنتيه ريم وحنان. لم تكن العائلة متشابهة كما يظن من يراها للمرة الأولى؛ فريم كانت ابنة سعد من زوجته الأولى التي توفيت منذ سنوات، أما حنان فكانت ابنته من زوجته الثانية سماء.

كان سعد يحب ابنتيه، ويحاول أن يعاملهما بالعدل، لكن ريم كانت تحمل في داخلها جرحًا قديمًا لم يلتئم. كانت ترى في حنان الفتاة التي حصلت على أم لم تحصل عليها هي. حاولَت سماء أكثر من مرة التقرب منها، لكن ريم كانت تضع بينهما جدارًا لا يسمح لأحد بتجاوزه.

في صباح يوم الجمعة، استيقظت ريم باكرًا لتستعد للحضور في حفلة صديقتها هدى. أخرجت فستانها، ثم فتحت صندوق مجوهراتها. أخرجت الأقراط، ثم السلسال، ثم مدت يدها إلى المكان الذي اعتادت أن تضع فيه خاتمها... لكن الخاتم لم يكن هناك.

فتشت الأدراج والأرض، وكلما بحثت أكثر ازداد غضبها. صرخت وخرجت مسرعة إلى الصالة حيث تجلس سماء وحنان:

— من دخل غرفتي؟ خاتمي اختفى!

نظرت سماء إليها باستغراب:

— ربما وضعتِه في مكان آخر.

— لا! أنا متأكدة أنه كان في الصندوق، ولا أحد يدخل غرفتي غيركم.

رفعت حنان رأسها بسرعة:

— أنا لم أدخل غرفتك!

قالت سماء بحزم:

— حنان ليست سارقة يا ريم.

عادت ريم إلى غرفتها وهي تشتعل غضبًا، ثم غادرت المنزل. لم يكن الخاتم بالنسبة إليها مجرد قطعة من الذهب، بل كان آخر شيء تملكه من أمها الراحلة.

الفصل الثالث

الرجل الذي يعرف كل شيء

• • •

كانت هدى تنتظر ريم، وما إن رأتها غاضبة وعرفت بالقصة حتى خفضت صوتها وقالت:

— أعرف شخصًا يمكنه مساعدتنا... المشعوذ.

ترددت ريم، لكنها كانت مستعدة لفعل أي شيء لاستعادة خاتم أمها، فقالت:

— هيا.

سارتا نحو أطراف القرية حتى وصلتا إلى البيت القديم. فتحت الزوجة الباب واستقبلتهما بابتسامة هادئة. جلست ريم وهدى في غرفة تفوح منها رائحة البخور. بدأت المرأة تسأل ريم أسئلة تبدو عادية:

— هل غرفتك في الطابق الأرضي؟ ولها نافذة منخفضة؟

— نعم... لماذا؟

— مجرد سؤال. وصفي لي الخاتم، وهل تشكين في أحد؟

— ذهبي، على شكل زهرة، هدية من أمي المتوفاة. وأشك في أختي الصغرى حنان.

دخلت الزوجة إلى الغرفة المجاورة ونقلت التفاصيل لزوجها:

— فتاة اسمها ريم، فقدت خاتمًا ذهبيًا على شكل زهرة من أمها. غرفتها في الطابق الأرضي ونافذتها منخفضة، وتشك في أختها حنان.

ابتسم المشعوذ:

— جيد، اتركي الأمر لي.

دخلت ريم إلى الغرفة المظلمة. خفض المشعوذ صوته وقال بنبرة غريبة:

— أعرف سبب مجيئك... خاتمك لم يضع، شخص ما أخذه... أختك الصغيرة حنان. دخلت من النافذة.

شعرت ريم أن شيئًا بداخلها انهار. تابع المشعوذ:

— لا أستطيع معرفة مكان الخاتم الآن، الأمر يحتاج إلى وقت. عودي غدًا وأحضري مائة ألف.

الفصل الرابع

أول خطوة نحو الهاوية

• • •

في صباح اليوم التالي، انتظرت ريم حتى خلا المنزل من الحركة، ودخلت غرفة أبيها. أخذت مفتاح الخزنة بآيادٍ مرتجفة، وأخرجت منها مائة ألف . كانت تلك أول مرة تسرق فيها أباها.

اتجهت ريم إلى بيت المشعوذ. وفي القاعة الخارجية، قالت للزوجة وهي تتظاهر بالتفكير :

— تذكرت! لم أبحث تحت السرير... لكن من المستحيل أن يكون هناك.

وكان المشعوذ خلف الباب يستمع إلى كل كلمة.

عندما دخلت عليه وأعطته المال، أغمض عينيه وتظاهر بالحديث مع الجن، ثم قال بثقة:

— أختك خافت منك وأعادت الخاتم... ستجدينه تحت سريرك!

خرجت ريم مسرعة إلى منزلها، انحنت تحت السرير... وكان الخاتم هناك! لمسَته بذهول، ولم تتساءل لحظة واحدة كيف عرف. لقد نجح المشعوذ في التخمين بناءً على ما سمع، وصار في نظرها رجلًا يعلم الغيب.

توجهت ريم إلى غرفة حنان وصرخت فيها وهي تمسك بها بعنف:

— أنتِ سارقة! أعدتِ الخاتم بعدما سرقتِه!

بكت حنان ونفت، وهرعت سماء لتحتضن ابنتها، لكن المشعوذ كان قد نجح بالفعل في تحويل الغيرة القديمة إلى كراهية ملتهبة.

الفصل الخامس

شباك الوهم

• • •

لم تتوقف الشكوك عند ريم؛ فقد أصبحت تتردد على المشعوذ كلما تملكها الخوف، وكان هو يغذي ظنونها ضد أختها وسماء ليضمن استمرار تدفق أموالها. وفي تلك الأثناء، كانت شباك المشعوذ تصطاد ضحايا آخرين في القرية.

جاءته امرأة تدعى سنا، تعاني من شكوك حول انشغال زوجها عنها بالهاتف. استدرجتها الزوجة حتى عرفت التفاصيل، ثم أوهمها المشعوذ بأن زوجها على علاقة بأخرى، وباعها أعشابًا ورموزًا مقابل أساورها الذهبية لتقوم بوضعها في طعام زوجها كي يعود إليها.

كادت الأعشاب السامة أن تودي بحياة زوج سنا، ونُقل إلى المستشفى على عجل. وهناك، تلقت سنا مكالمة على هاتف زوجها تخبره بقبوله في وظيفة جديدة كان يسعى إليها ليل نهار لتحسين معيشتهما. حينها فقط، أدركت سنا أن شكوكها المندفعة قادتها إلى مجرم كاد يجعلها تقتل زوجها بيديها.

اما الضحية التالية فكانت فتاة تدعى لين، جاءت تبكي حبًّا أحاديًا فشلت في طيه. أعطت المشعوذ ذهب أمها الثمين بناءً على وعده بأن يجعل الشاب يترك عرسه ويتزوجها. وفي يوم الزفاف، أقدمت لين على إحراج نفسها أمام الحضور ومواجهة الشاب، لتعود إلى بيتها مكسورة الخاطر ومحتجزة من قِبَل أخيها غضبًا. استفاقت لين على حقيقة استغلال المشعوذ لضعفها، واعترفت لأمها بخسارة الذهب والأمل معًا.

الفصل السادس

ضحية الوهم الكبير

• • •

بينما كانت قصص النصب تنتشر، دخلت بيت المشعوذ امرأة تدعى سحر، تتجر خلفها خطى الثقل وممسكة بيد طفلتها الصغيرة سارة.

استقبلتها زوجة المشعوذ عند الباب، لكن سحر رفضت الإفصاح عن سبب زيارتها لأحد غير المشعوذ. أمام هذا الإصرار، أدخلتها إلى الغرفة المظلمة.

جلس المشعوذ وسط دخان البخور، وبعد طقوسه المعتادة قال :

— تكلمي.

تنهدت سحر وقالت:

— زوجي أيمن لم يعد يحبني، وأريد أن أعرف ماذا أفعل ليحبني؟

التفت إليها المشعوذ:

— وما المقابل؟

— سأعطيك المال والذهب... هل هناك شيء آخر؟

هز رأسه نفيًا وقال:

— لا. اذهبي الآن مع ابنتك إلى بيت أبيكِ صالح، ولا تتحدثي بشيء. سيأتي خلفكِ، وعندما يصل، أخبريه أنكِ لا تحبينه وتريدين الطلاق.

اتسعت عيناها بدهشة:

— وإذا رفض طلاقي؟

— أصري على قراركِ ولن يستطيع الرفض.

— وإذا تطلقت... ماذا سيحدث بعد ذلك؟

ابتسم المشعوذ ابتسامة باهتة وقال بثقة زائفة:

— ستتزوجين برجل أوسم منه وأكثر غنى... رجل كان يحبكِ سِرًّا قبل زواجكِ، وحين يعلم بطلاقكِ سيفرح ويتقدم لكِ فورًا لتعيشي معه حياة سعيدة.

سألت بنبرة ملؤها الأمل:

— وماذا عن ابنتي سارة؟

طمأنها المشعوذ:

— ستبقى في رعاية أمكِ فاطمة، لا تقلقي عليها.

خرجت سحر وقد ملأ الفرح أوهامها، وتوجهت مباشرة إلى بيت أبيها صالح. في المساء، عاد أيمن من عمله ليجد بيته خاويًا. اتصل بزوجته مرارًا دون إجابة، فنشره القلق واتصل بعمته فاطمة ليعرف أن سحر هناك.

وصل أيمن إلى بيت عمه، فاستقبلته عمته بترحاب، لكن سحر قطعت حديثهما بنبرة حادة:

— بعد أن تعرفي ما فعله، ستندمين لأنكِ تنادينه يا بني!

دخل الجميع إلى غرفة الاستقبال، وعاد الأب صالح من عمله ليستمع إلى المشكلة. انطلقت سحر باتهاماتها الباطلة:

— زوجي لا يحبني، وفي حياته نساء كثيرات! إنه لا ينفق عليّ ولا على ابنتنا، ويتركنا بلا طعام أو شراب!

صُدم أيمن ورد بإنكسار:

— هذا افتراء! أنا أعمل طوال اليوم لأوفر لهما الحياة الكريمة!

انحازت الأم فاطمة لانتهاكات ابنتها، بينما ظل الأب صالح يستمع بوعي وحكمة. صرخت سحر :

— أنا لا أريدك! أريد الطلاق!

قال أيمن بأسى:

— إن كانت هذه رغبتكِ فلا مانع لدي... لكن هذه الطفلة ستبقى معي.

ثارت سحر واختطفت سارة من يديه:

— هي ابنتي وستعيش معي! اخرج من البيت الآن!

تدخل الأب صالح بوقار:

— لا داعي للمحاكم ولا لتخريب بيوتكم بأيديكم، وأنا سأتكفل بطلباتك يا بنيتي.

لكن طمع الوهم كان قد أعمى بصيرة سحر، فصرخت:

— لا أريده! أريد الطلاق، وليأخذ ابنته معه... لا أريدها أيضًا!

أمام هذا الإصرار الغريب، طلقها أيمن في الحين، وأخذ طفلته سارة وغادر البيت.

مرت الأيام والشهور، وظلت سحر حبيسة غرفتها تنتظر الرجل الثري والوسيم الذي وعدها به المشعوذ... لكن لم يأتِ أحد. مرت السنوات سراعًا، وكبرت سارة بعيدًا عنها، حتى إذا التقتها بالصدفة في السوق، مرت الطفلة بجانبها كالغريبة دون أن تعرف أن هذه أمها.

أما أيمن، فقد رمم حياته وتزوج من امرأة صالحة ملأت بيته دفئًا، وعاشا معًا في استقرار. عندها فقط، استفاقت سحر من غفلتها، وأدركت أنها قدمت مالها وذهبها للمشعوذ ثمنًا لهدم بيتها وضياع ابنتها، ولم تحصد من وهمه سوى الخسران والحسرة.

الفصل السابع

الحقيقة والسقوط

• • •

كانت نيران الفتنة قد بلغت أشدها في القرية، وأصبح بيت سعد على وشك الانهيار. في إحدى الليالي، قرر سعد حسم الأمر بعد أن لاحظ خروج ريم المستمر وشكوكها الغريبة.

خرج سعد من بيته وتتبعته زوجته سماء حتى وصلا إلى نافذة بيت المشعوذ. اختبآ بالقرب منها، ورأيا المشعوذ وزوجته يقتسمان الأموال والذهب.

ضحك المشعوذ وقال:

— المال الذي أعطتني إياه ريم يكفي لأعيش به بقية حياتي! الناس أغبياء جدًا... يصدقون أنني أعلم الغيب!

قالت زوجته:

— وأنا لم أفعل شيئًا سوى الاستماع للزبائن ونقل كلامهم إليك.

أخرج سعد هاتفه وسجل حديثهما كاملاً من النافذة.

عاد سعد وسماء إلى البيت، وواجه سعد ابنتَه ريم بحزم، وأسمعها التسجيل. انهارت ريم بالبكاء واعترفت بسرقتها للمال وإعطائه للمشعوذ بعد أن أقنعها بأن أختها حنان هي من سرقت الخاتم. احتضنها سعد وأوضح لها كيف استغل المشعوذ حزنها على أمها المتوفاة وشرخ علاقتها بأسرتها.

في صباح اليوم التالي، جمع سعد أهل القرية وأخذهم إلى بيت المشعوذ. طوق الناس المكان وطرق سعد الباب بقوة.

خرج المشعوذ مستغربًا، فواجهه سعد أمام الجميع:

— أين الجن الذين تتعامل معهم؟

حاول المشعوذ الإنكار، لكن سعد أخرج هاتفه وهدد بتشغيل التسجيل الصوتي الذي يفضحه وهو يعترف باستغلال ريم وسائر أهل القرية.

سقطت هيبة المشعوذ، وصرخ بخوف وندم:

— كفى! أنا لا أتعامل مع الجن... ولا أعلم الغيب. كنت أكذب عليكم وأستغل خوفكم لأجمع المال والذهب.

أجبره سعد وأهل القرية على إخراج كل الأموال والذهب التي جمعها هو وزوجته، وأعادوا الممتلكات لأصحابها: لريم، ولين، وسنا، وسحر.

أخذ كل شخص حقه المادي، لكن المشعوذ لم يستطع إعادة السنوات التي ضاعت، ولا العائلات التي تفككت، ولا الأرواح التي أُزهقت بسبب جهل الناس وأوهامهم.

حمل المشعوذ وزوجته أمتعتهما الخفيفة وغادرا القرية يجرّان أذيال الخزي والعار، وسط نظرات المقت من الأهالي.

عاد سعد إلى بيته واحتضن ريم وحنان وسماء معًا، متجاوزين ألم الماضي. وأدرك أهل القرية منذ ذلك اليوم أن أخطر المشعوذين ليسوا من يدعون التحكّم بالجن، بل أولئك الذين يتسللون إلى نقاط ضعف البشر، فيبعونهم الوهم مقابل حياتهم وأرواحهم.

تمت